قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا وابنة شعيب حين قالت يا ابت استاجره وابو بكر في عمر حيث استخلفه وكذلك اي وكما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر قال البقاعي التي هي كالارض كلها لكثرة منافعها بالملك فيها التمكنه من الحكم بالعدل والنبوة وقوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا اي لنمكنه او الواو زائدة والله غالب على امره اي الامر الذي يريده لانه تعالى فعال لما يريد ولا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في ارضه وسمائه او على امر يوسف اراد اخوته قتله فغلب امره عليهم وارادوا ان يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب امره تعالى حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه ثم ارادوا ان يضروا اباهم ويطيبوا قلبه حتى يخلو لهم وجهه فغلب امره تعالى فاظهره على مكرهم واحتالت عليه امرأة العزيز لتخدعه عن نفسه فغلب امره تعالى فعصمه حتى لم يهم بسوء بل هرب منه غاية الهرب ثم ابذلت جهدها في اذلاله والقاء التهمة عليه فابى الله تعالى الا اعزازه وبراءته ثم اراد يوسف عليه السلام ذكر الساقي له فغلب امره تعالى فانساه ذكره حتى مضى الاجل الذي ضربه الله تعالى وكم من امر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد الى انه لا امر لغيره ولكن اكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ان الامر كله بيد الله او ان اكثر الناس لا يعلمون ما هو صانع بيوسف وما يريد منه فمن تامل في احوال الدنيا وعجائب احوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء الله تعالى غالب ولما بين تعالى ان اخوته اليه وصبر على تلك الشدائد والمحن ومكنه في الارض اتبعه الاعلام بتمام النعمة عليه بقوله تعالى ولما بلغ اشده اي منتهى شبابه وقوته وشدته تقول العرب بلغ فلان اشده اذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته وهذا اللفظ مستعمل في الواحد والجمع يقال بلغ اشده وبلغوا اشدهم وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال السدي بلغ ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين وقيل اقصاه اثنان وستون سنة قال الاطباء ان الانسان يحدث في اول الامر ويتزايد كل يوم شيئا فشيئا الى ان ينتهي الى غاية الكمال ثم ياخذ في التراجع الى ان ينتهي الى العدم والمحاق كالقمر اتيناه حكما اي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس اي وعلما اي علم تاويل الاحاديث وقيل المراد بالحكم النبوة والرسالة وتقدم ان قوله تعالى واوحينا انه وحي حقيقة قال الرازي فلا يبعد ان يقال ان ذلك الوحي عليه في ذلك الوقت لا لاجل بعثته الى الخلق بل لاجل تقوية قلبه وازالة الحزن عن صدره ولاجل ان يستأنس بحضور جبريل عليه السلام وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف وعن الحسن

من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله ولما اخبر تعالى ان سبب النعمة عليه احسانه اتبعه دليله فقال تعالى وراودته التي هو في بيتها اي امرأة العزيز راودت يوسف عن نفسه لانها لما رأته في غاية الحسن والجمال طمعت فيه وقيل ان زوجها كان عاجزا والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهو عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب اي اطبقتها وكانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية لا سيما اذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد وقالت له هيت لك اي تهيأت وتصنعت لك خاصة فاقبل الي وامتثل امري قال الواحدي هيت لك اسم للفعل نحو رويد وصه ومه ومعناه هلم في قول جميع اهل اللغة وقرا نافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقرا هشام بعد الهاء بهمزة ساكنة والباقون بياء ساكنة وقرا ابن كثير بضم التاء وفتحها والباقون بالفتح قال لها يوسف عليه السلام معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به والجا اليه مما تدعونني اليه انه اي الذي اشتراني ربي اي سيدي احسن مثواي اي اواني اي اكرم منزلي فلا اخونه في اهله وقيل انه اي الله ربي احسن مثواي اي اواني ومن بلاء الجب انجاني انه لا يفلح الظالمون اي ان فعلت هذه الفعلة فانا ظالم ولا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها اي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بالشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري ولكن مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض اهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد ما خوذ به ما لم يتكلم او يعمل كما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر حسنات امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها قال في الكشاف ويجوز ان يريد بقوله وهم بها شارف ان يهم بها كما يقول قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشارفته كانه شرع فيه لولا ان راى اي يبصر بقلبه برهان ربه اي الذي آتاه اياه من الحكم والعلم اي لهم بها لكنه كان البرهان حاضرا لديه حضور من يراه بالعين فلم يهم اصلا مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله تعالى من القوة مع كونه في سن الشباب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)